من تراب الطريق!

(١٦٨) هل عرفنا وزن مصر ؟! (*)

لدى العديد من الاعتراضات على ما يسمى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى، بل وعلى ما آل إليه فن وصناعة السينما فى مصر. ولكن استوقفنى الأسبوع الماضى تصريح لرئيس المهرجان، وهو فنان كان فى الأصل طبيبا، والفرض أنه مثقف .. يعكس - أى التصريح - حالة عدم التفات وعدم تفطن إلى قيمة مصر ! لا على المستوى العام، ولا على المستوى السينمائى !

فضلا عن اعتراضاتى العديدة على المهرجان، وعلى إنفاق أى قرش عليه - فالمليم قد انقرض والقرش فى سبيله إلى اللحاق به، فما يحتاجه البيت يحرم على الجامع، فكيف بالأموال تمنح لفنانين أجانب ثمنا لتشريفهم السامى لمهرجان لا يقدم لمصر ولا للفن شيئا إلاّ زفة ينعم بخيراتها أصحابه، بينما معظم الشعب المصرى يتضور جوعا ويعانى من أمراض الفاقة !

تصريح رئيس المهرجان يجهل قيمة مصر ووزنها الأدبى بين شقيقاتها العربيات، فضلا عن وزنها الفنى بعامة وفى السينما بخاصة . فمصر بالنسبة لفن وصناعة السينما بين كافة الدول العربية، تضارع بالنسبة والتناسب - مكانة هوليوود السينمائية بالنسبة للعالم . ومع ذلك يقول تصريح رئيس المهرجان : " لو عايزين جورج كلونى وأنطونيو بانديراس

(*) المال ٢٠٠٨/١١/٢٥

فى حفل الافتتاح هاتولى ١٢ مليون دولار (٣٠ مليون جنيه مصرى) زى ميزانية مهرجان "دبى " أو " أبو ظبى " ! ".

ومع احترامى لكل شقيقة عربية، فإن المساواة هنا مساواة عددية فى غير موضوعها، فمكانة الدولة ومهرجانها المصنف عالميا ضمن (١١) دولة كما يقول صاحب التصريح - مكانة حاضرة تؤخذ فى الاعتبار فيما يطلبه أو يتقاضاه هذا أو ذاك مع اعتراضى على المبدأ ذاته ! ما أريده أن لمصر مكانة يجهلها ويغفلها التصريح الضرير الذى يؤكد أن الحدوتة كلها فارغة تبدد أموالا مصرية - وإن كانت من داعم ! .. شعب مصر فى أمس الحاجة إليها لجبر - ولو قليلا - من معاناته من الفقر المدقع وأمراضه المتزايدة المتفشية . أما مصر ذاتها، فموجع أن نجهل قيمتها ومكانتها، بينما الانتماء لا يكون إلاّ نبت إحساس بالقيمة والمكانة !

تذكرت وأنا أقرأ هذا التصريح الضرير الغافل عن قيمة ومكانة مصر، تذكرت بالمقابل ما كان يفعله ويقوله مصطفى كامل لبعث الحركة الوطنية بتخصيب الشعور بالانتماء للوطن العزيز الغالى .. انظروا وتأملوا فى كلماته : "يقول الجهلاء إنى متهور فى حب مصر، وهل يستطيع مصرى أن يتهور فى حب مصر ؟! إنه مهما أحبها فلن يبلغ الدرجة التى يدعو إليها جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها، ألا أيها اللائمون أنظروها وتأملوها وطوفوا بها، واقرأوا صحف ماضيها واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض، هل خلق الله وطنا أعلى مقاماً، وأسمى شأناً، وأجمل طبيعةً، وأجل آثارًا، وأغنى تربة، وأصفى سماءً، وأعذب ماءً، وأوعب للحب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟.. اسألوا العالم كله يجبكم بصوت واحد إن مصر جنة الدنيا، وأن شعبا يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب إذا أعزها، وأكبرها جناية عليها وعلى نفسه إذا تسامح فى حقها "!

أعرف أن المقارنة هنا ظالمة، ولكن قيمة الفن تتلاشى إذا فقد هدفه وانفصم عن تربته المستمدة من قيمة وتقدير الوطن . إن مصر ومهرجان عاصمتها السينمائى الدولى لن يضيف إليها حضور " كلونى " أو غيره،

ولن تخسر شيئا بعدم حضوره. ولكن تخسر مصر حين يجهل أبناؤها قيمتها، ويغفلون عن مكانتها، فتنطلق تصريحاتهم ضريرة تغفل هذه وتلك وتنحر دون أن تدرى فى شجرة الانتماء التى إليها محبة وارتقاء الأوطان !